

الفصل الثانى

منتجى القنار والعصر الحجري الحديث كان وادى النيل يصبحون منتجى غدام

كان قاع مجرى النيل مغطى بطبقات من الطمي والرمل التى كان يحملها تيار النهر؛ ولم يكن صالحاً إذ ذاك لنمو مزروعات كثيرة . ومن الجائز أنه فى نهاية العصر الباليوليتى بدأ النهر يجيء بكمية كبيرة من التربة السوداء من مرتفعات الحبشة . وفى كل فصل عندما تملأ أمطار الصيف الآتية من جبال الحبشة النيل الأعلى ، كانت المياه تعلو فوق ضفتيه ، وتنتشر هذه المياه المحملة بالطمي على جانبي مجرى النهر وتترك طبقة دقيقة من الطمي أو التربة السوداء الخصبة ، وأصبح هذا الطمي فى النهاية طبقة سميكة هى أرض وادى النيل الخصبة التى كونت شريطاً على كل من ضفتى النهر . وكان هذا الشريط يلتوى ويدور مع اتجاه النهر سواء إلى اليمين أو إلى اليسار . وفى أيامنا هذه لا يزيد اتساع هذه الطبقة السوداء أى نهر النيل وما على ضفتيه من أرض عن ستة عشر كيلو متراً .

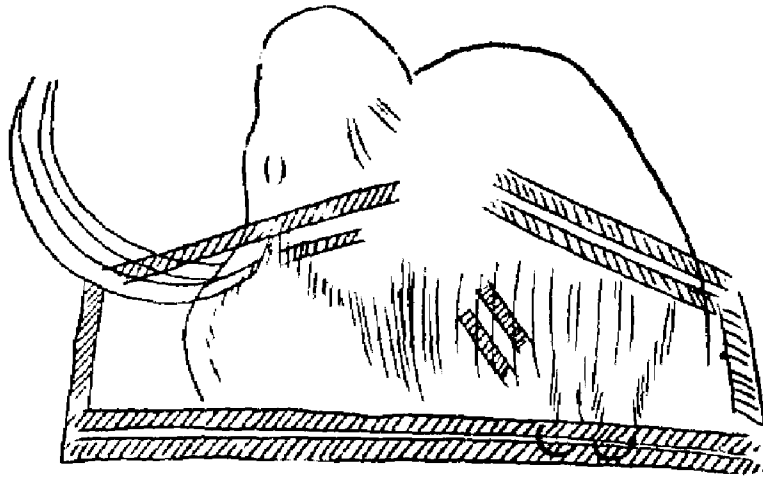
وفى هذه الأرض المزروعة المحمية ، استطاع رجال العصر الباليوليتى الذى أوشك على نهايته أن يحسنوا طريقة معيشتهم ومهدوا لبدء عصر جديد نطلق عليه اسم العصر النيوليتى ، (الحجري الحديث) وليس فى استطاعة أحد أن يحدد بالضبط بداية العصر النيوليتى ، ففى أراضى البحر الأبيض المتوسط كان يوجد بعض أقوام يتطورون فى حياتهم نحو الحياة النيوليتية بينما كان فى نفس المنطقة آخرون يشكلون بمهارة الدبابيس النحاسية . فمثلاً انتهى العصر النيوليتى فى مصر والعراق قبل أن يحدث ذلك فى الشمال الغربى لأوروبا بحوالى ٢٠٠٠ سنة . وإذا درسنا الثقافات النيوليتية

نجد أن الآثار المصرية تعطينا صورة حسنة لهذا النوع من الحياة في عصور ما قبل التاريخ . لقد اضطرت الحيوانات التي عاشت زمنا طويلا في الهضبة أن تفعل ما فعله الصيادون فالتجأت هي الأخرى إلى وادى النيل تنشد القوت والماء .

وكان وادى النيل مليئا بالمستنقعات والأحراش فاصبح خير ملجأ للأسراب كثيرة من الطير البرى ولقطعان هائلة من الحيوانات الضخمة مثل فرس النهر والفيل التي كانت تعيش في شمال البحر الأبيض المتوسط ، وكذلك فعلت أنواع مختلفة من الأرام والماشية الكبيرة البرية *Bos primigenius* (الحرفان والماعز والحمير) . ولم يكن إذ ذاك من بين تلك الحيوانات ما هو أليف أو مستأنس بل كانت في حالتها الوحشية . وعلى الجانب الشمالى من البحر الأبيض المتوسط عرف الصيادون كيف يصنعون الفخ حتى للحيوانات الكبيرة مثل الفيل .

ولم يكن في وادى النيل متسع كبير لمثل هذه الحيوانات كي تمرح كما كانت تفعل في أوروبا أو في الهضبة من قبل فوجدت نفسها في موقف لم تكن قد عرفتة في أوروبا أو آسيا إذ وجدت نفسها مرغمة على أن تكون على مقربة من الانسان الذى وجد أنه أصبح من الميسور له أن يوقعها في قبضته

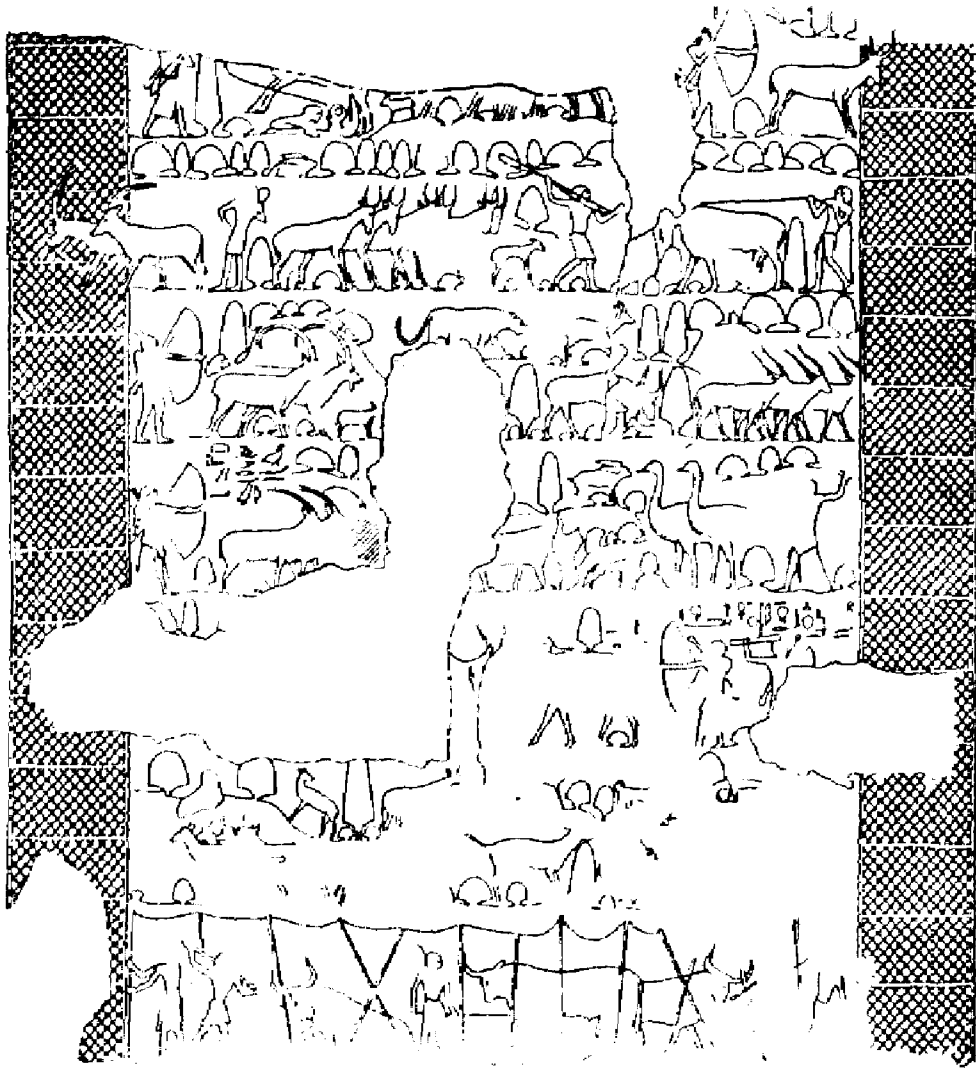
ويمكننا أن نتصور جماعة من الصيادين تدفع بالقطعان الكبيرة من هذه الحيوانات المتوحشة إلى بعض الفجوات العميقة بين صخور وادى النيل ثم يتقدمون نحوها من الجانب المفتوح ويقتلونها . وعلى مر الزمن عن هؤلاء الصيادين أن يغلقوا مثل هذه الفجوة بسياج ليست به سوى فتحة واحدة ، أو يبنوا سياجا ذا جوانب أربعة أو يصنعوا شبكة محيطة لها مخارج من جانب واحد . وبذلك أصبح وجود الحيوانات المتوحشة في مكان مسور مصدرا قيما جدا للتموت على مقربة من الناس وفى أى لحظة يشاؤون . وبعد زمن طويل تخلصت بعض أنواع من هذه الحيوانات من خوفها من الانسان وتعلمت تدريجيا كيف تعيش معه . ومن الطريف أن نلاحظ



شكل ٨ : رسم فى كهف يمثل الماموت وقد وقع فى فخ من كتل الخشب فى جنوب فرنسا

يرينا هذا الرسم المرحلة الاولى لمقدرة الانسان على أسر الحيوانات وكانت فى المرحلة التالية استئناس الحيوانات

كيف أدى جفاف الصحراء المتزايد إلى جمع الإنسان بالحيوانات المتوحشة ، حتى أن الثور والضأن والماعز والخيول التي كانت كلها حيوانات وحشية تخلت عن حياتها الطليقة وأصبحت حيوانات مستأنسة تخدم الإنسان . وفى هذه الأثناء تمكن سكان النيل من الوصول إلى طريقة جديدة أصبحت مصدرا دائما للغذاء . فمن المحتمل أن النساء اعتدن لمدة آلاف السنين أن يجمعن حبوب بعض الحشائش البرية ويطحنها لتؤكل . وفى النهاية اكتشف شخص ما أن هذه الحشائش لو زرعت وسقيت بالماء فإنها ستتمو أحسن من ذى قبل وتنتج كمية أكبر من الحبوب الصالحة للأكل ، وإلى جانب ذلك فإنهم كانوا يستطيعون أن يبيدوا الحب بالقرب من مساكنهم المرفقة وبذلك يوفر على النساء الوقت والجهد الذى يبذل فى البحث عن الأعشاب البرية ، وبدأ هؤلاء الزراع الأوائل يفكرون فى إيجاد طرق لتخزين الحبوب لاستعمالها بين فصل حصاد وآخر ، وقد عثر فى منخفض الفيوم غرب وادى النيل على ٦٣ حفرة من المحتمل أنها حفرت لتستعمل شئونات للغلال . وكان عدد من هذه الحفر مغطى بالطين ومغلفا بالقش . وكان فى بعض هذه الشئونات



شكل : ٩ رسم مصرى قديم يبين حظيرة صيد مملوء بالحيوانات

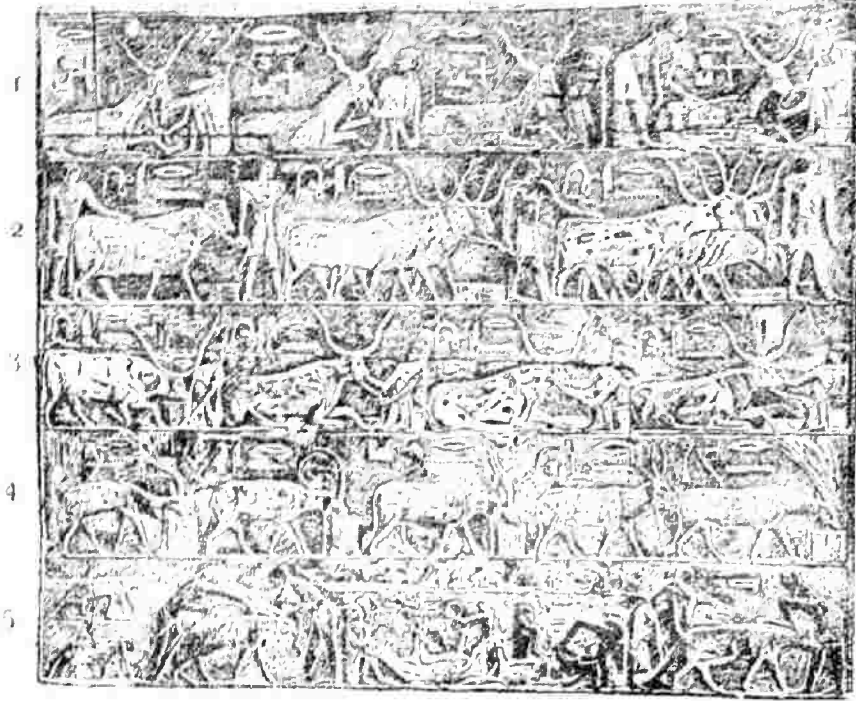
هذا المنظر مرسوم على جدار فى مقبرة من عصر الفترة الاولى تهدمت بعض أجزائه . ونرى فى هذا المنظر بعض الحيوانات البرية وقد دفع بها الصيادون الى حظيرة مصنوعة من الشباك . ونرى عولاء الصيادين منهمكين فى اغلاق طرف منها (فى الطرف السفلى) بواسطة أعمدة مربوطة بحبال طويلة ، ولكن الطرف البعيد لم يبق فى الرسم . ونرى أربعة رجال مزودين بالاقواس والسهام منهمكين فى قتل بعض الحيوانات للحصول عليها فى وقت قصير . وهناك رجال آخرون فى الصف الاول والثانى يستعملون الحبال لأمساك الحيوانات وهى حية

كميات صغيرة من القمح والشعير^(١). وكان في البعض الآخر سلال وأوعية وكذلك المنجل الذي كان يستعمل في الحصاد .

وهكذا عرف سكان النيل كيف يخزنون حصاد غلالهم ويحفظون الحبوب لبذرهما في العام القادم ، وتعلموا كيف يربون الحيوانات في الحظائر ثم عرفوا بعد ذلك كيف يحتفظون بحيوانات معينة للتكاثر، كما عرفوا كيف يحتفظون بالماشية لدر الألبان . وهكذا أصبحوا منتجي غذاء بدلاً من جامعين له ، وعندما رأوا أنفسهم قادرين على إنتاج القوت على مقربة من أما كن إقامتهم وجدوا أنه لم يصبح من الضروري اللزم أن يظلوا صيادين يعيشون على قتل الحيوانات الوحشية. وبدأت جماعات من العائلات في تكوين قرى صغيرة ليستطيعوا رعى قطعان الماشية ويرووا حقول الحبوب . وفي النهاية أصبح معظم الصيادين زراعاً ومربي ماشية وأصبحت قراهم الصغيرة مساكن ثابتة لإقامتهم .

وكانت الأدوات والأسلحة لا تزال تصنع من الحجر في ذلك العصر، ولكن الرجال تعلموا كيف يستعملون أحجاراً مثل الحجر الرملى لسن أسلحتهم أو لتهديب أطراف أدواتهم . وتحسنت الأدوات المصنوعة من الطران كثيراً نتيجة لهذا التقدم ، بل وزادوا على ذلك أنهم عرفوا أنهم يمكنهم أن يحصلوا على فصل حاد

١ - من المحتمل أن القمح والشعير كانا أول الغلال التي زرعها الإنسان ، وكذلك الذرة فأنها زرعت أيضاً في وقت مبكر . وليس من المستبعد أن يكون إنسان ما قبل التاريخ قد زرع الشوفان وغيره من الحبوب . وقد قام كثير من العلماء بدراسات كثيرة للمناطق التي ينمو فيها الآن الشعير البري والقمح البري لتحديد المكان الذي بدأت فيه زراعة القمح . واهتم علماء النبات والاثريون بتحديد أقدم أنواع القمح التي زرعها الإنسان . ومن الجائز أن أنواع القمح التي تستعمل في صنع الخبز الآن طورها الإنسان عن طريق الاختيار لأنه لم يكتشف أصل برى للقمح الذي نستعمله الآن في صنع خبزنا العادي (*Triticum vulgare*) لأن نوع القمح الذي اكتشف في شونات الغلال المصرية القديمة هو من نوع (*Triticum dicoccum*) الذي مازال ينمو كنبات برى في أجزاء مختلفة من العالم القديم . وفي وقتنا الحالي لا يزرع هذا النوع من القمح *Emmer* لأجل الخبز ولكنه يستعمل أحياناً في صنع بعض أغذية الإفطار في الصباح

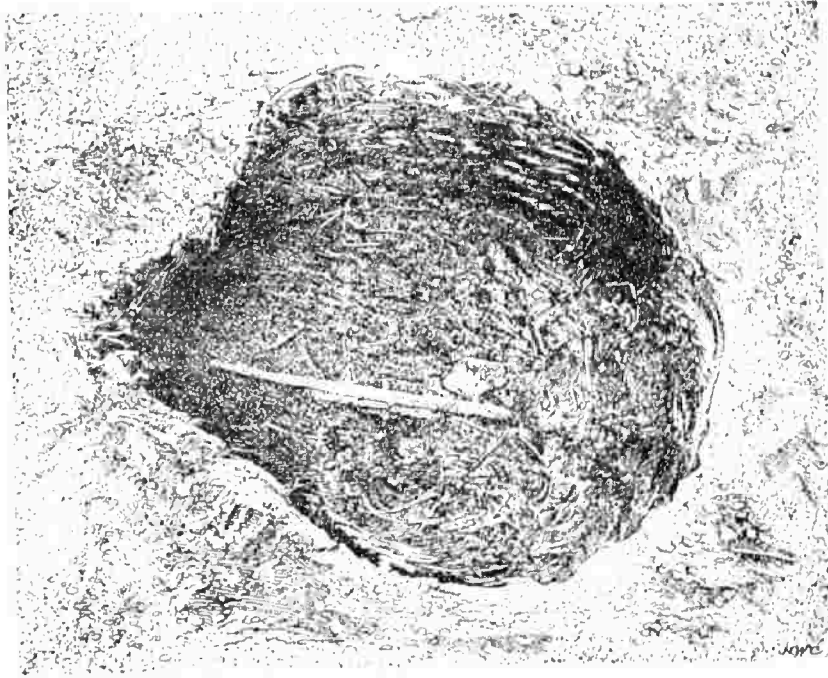


شكل : ١٠ علف الآرام والضباع نصف المستأنسة مع الماشية

كانت الحيوانات الوحشية التي تصاد حيه من حظائر الصيد (شكل ٩)
تعلف في حظائر ويحاولون استئناسها ولو الى حد ما . الماعز (١) والغزلان (٤)
في الطرف الشمالى والغزال العربى (Addux) (٤ فى الوسط) وغزال
الاوريكس (Oryx) (فى الطرف الايمن) والتيتل (٤ فى الشمال) ونراها
كلها فى هذا المنظر وهي تاكل فى مداودها فى الاصطبلات مع الماشية الكبيرة
(٢) كانت هذه الماشية الكبيرة قد استأنست قبل أن يرسم هذا المنظر بالاف
السنين وأصبحت أسلافا لماشيئنا الاليقة الآن

فى هذا الرسم ما يثبت أن المصريين عرفوا تربية أنواع ممنازة من الماشية منذ
تاريخ مبكر جدا . كان المصرى يحافظ على فصيلة الماشية عديده القرون (٢ فى
الطرف الشمالى) أو على الأقل يعمل على ابقاء نسلها . فى أسفل (٥) الضباع
المأسورة وهم يعطونها الطعام فى قمها . وكان المصريون اذ ذاك استأنسوا تماما
الماعز والماشية الكبيرة التي ترى هنا فى (١ ، ٢ ، ٣) . أما الاخرى فى (٤) فلم
يكونوا قد استأنسوها الا الى حد ما ، وهي لا توجد الان الا فى حالة وحشية
وخاصة الضباع (٥)

من أحجار أقل تعرضاً للكسر من حجر الطران ، وبعبارة أخرى عرف الإنسان أنه من الميسور له أن يصنع أدواته من مواد أفضل من الطران ، وفي الوقت عينه يسهل الحصول عليها لأنه لم يكن من السهل العثور على طبقات من الطران في كثير من المناطق . وهكذا أصبح استعمال حجر المسن من أول المكتشفات العظيمة في العالم ، وهو اكتشاف ما زال يستعمله الإنسان بشكله البسيط كما كان يفعل منذ عصور ما قبل التاريخ . كان ذلك ذا فائدة عظيمة جداً للإنسان ، ونستطيع أن نقول أنه ساعد كل رجل في أن يصبح معتمداً على نفسه فقط . واستطاع رجال العصر



شكل : ١١ شونة غلال غطيت جدرانها بالقش وهي من العصر النيوليتي وجدت في الفيوم بمصر

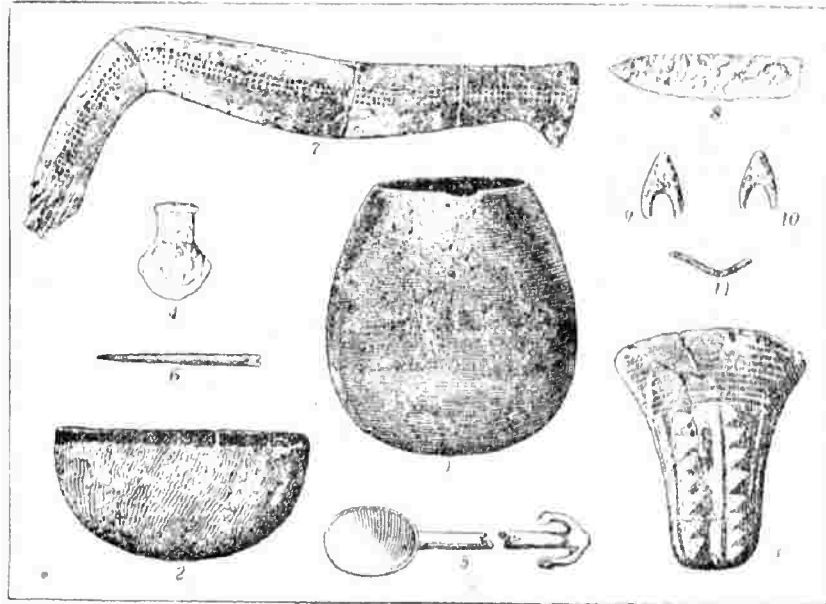
يبلغ طول المنجل الخشبي (١) الذي يرى ملقى في قاع المخزن حوالى قدمين .
(عن الأنسة كيتون تومسون Miss G. Caton Thompson)

الحجرى الحديث (النبوليتون) أن يقطعوا الأشجار وأن يصنعوا بعض أشياء من الخشب ، واستطاع هؤلاء الزارعون الأوائل الذين عاشوا في وادى النيل أن يتكروا صناعات مختلفة . وكانت هناك فيلة يمكن صيدها بسهولة ، وكان العاج الذى يؤخذ منها يستعمل فى صنع الأوعية والملاق والمشاط . وكان الغاب الذى ينمو فى المسنقعات التى على امتداد النيل يضفر ليصنع منه الحصير والسلال ، وكانت الأطباق والأواني والأوعية تصنع من الطين المحروق الذى يأتون بترابه من الهضبة أو من الطمى النيل . وكانت هذه الأواني الفخارية تشكل باليد ومع ذلك فإن رقة جدرانها وجودة خامتها والاثرا الفنى الذى يتركه سطحها المتموج ظلت دائماً كما هى ولم يستطع المصرى فيما بعد عندما اخترع دولاب الفخار أن يدخل تحسيناً على صناعتها ، وقبل ذلك بوقت قصير اكتشف المصرى فائدة خيوط بعض النباتات البرية مثل الكتان ، وتعلمت النساء كيف تزرع هذه النباتات ، وعرفن كيف يغزلن هذه الخيوط ثم عرفن أيضاً كيف ينسجنها ليصنعن منها أقمشة للملابس

حدث هذا كله منذ زمن بعيد جداً لدرجة أن آثار هذه المساكن النيلية المبكرة أصبحت مدفونة تحت أمتار من التربة السوداء التى يجلبها النهر منذ ذلك الوقت ، ومع ذلك فقد اكتشفت بقايا قليلة لبضعة قرى صغيرة كانت مقامة على أرض عالية فوق مستوى مياه فيضان النيل . وكان الموتى يدفنون على امتداد حافة التربة السوداء على طرف الصحراء . وقد فحص كثير من هذه المقابر . ونعرف أن الجثة كانت توضع على حصيرة وتحاط بأواني الطعام والأسلحة والأدوات وأدوات الزينة الخاصة بصاحب القبر . وهكذا كان الميت قد هيا نفسه للحياة الثانية ، وكان الوجه متجهاً ناحية الغرب . وقد عثر فى أحد هذه المقابر على دبوس نحاسى (شكل ١٢) وهو أقدم أداة من المعدن اكتشفت فى حفائر الآثار . ومن المستحيل أن نحدد بالضبط تاريخه ، ولكنه لا يمكن أن يكون متأخراً عن الألف الخامس قبل الميلاد . أى أن عمر هذا الدبوس ما بين ستة وسبعة آلاف سنة . ويمكننا أن نصور لأنفسنا

ذلك المصرى الذى اكتشف المعدن ، قبل أى شخص آخر ، عندما كان يتجول فى شبه جزيرة سيناء حيث توجد أقدم مناجم النحاس المعروفة . وربما حدث أنه كان يريد أن يضع بضعة أحجار حول النار التى أوقدها فالتقط لهذا الغرض بضعة قطع من النحاس وجدها ملقاة حول الأرض .

وعندما امتزج الفحم الناتج عن الحطب الذى يشعل به النار بالقطع الساخنة من المعدن التى وضعها حول النار لحمايتها من تأثير الريح ، فإن هذا المعدن أخذ



شكل : ١٢ مجموعة من الادوات عثر عليها فى جبانة مصرية من العصر النيوليتى المتأخر

تحتوى هذه الادوات التى كانت توضع مع الموتى على أوان فخارية للاستعمال المنزلى (١ - ٣) وأوان من العاج لحفظ عطور الزينة (٤) وملاعق (٥) وابر من العظم (٦) وأسلحة من الخشب أو الطران (٧ - ١٠) ويدل شكل (٧) على عصا للرماية ربما كانت سلف عصا الرماية المستعملة فى أستراليا . أما الدبوس النحاسى (١١) فانه يدل على أول استعمال للمعادن (عن برنتن)

يتضح عنصره ، أى أن النحاس بشكله المعدنى قد تخلص من أخلاط العناصر الأخرى التى كانت مختلطة به ، وفى الصباح عند ما كان المصرى يحرك بقايا النار

وجد في الرماد قطعاً لامعة تصلبت وتحولت إلى قطع متكورة لامعة من المعدن .
ونستطيع أن نتخيله وهو يلتقطها ويقلبها باعجاب وهي تلمع في أشعة شمس الصباح .
ولم يمض وقت طويل عندما أعيدت هذه التجربة حتى اكتشف أن هذه الخرزات
اللامعة الغريبة أتت من قطع الحجر الموجودة حول ناره ، وبدون أن يقصد أو
يعلم كان هذا الرجل على أبواب عصر جديد وهو عصر المعادن . ولو كان قدر
لهذا المصرى المتجول أن يعلم الغيب لأدرك أن الخرزة النحاسية الصغيرة اللامعة
التي التقطها من الرماد ، تعكس له رؤيا عظيمة من المستقبل بما فيه من المباني المصنوعة
من الصاب والكبارى الرائعة ، والمصانع الضخمة التي تضحج بأصوات آلاف
الماكينات المعدنية ، والقضبان الطويلة الممتدة التي تسير عليها القاطرات التي تنهب
الأرض . ولولا هذه الخرزة الصغيرة من المعدن التي أمسكها المصرى في يده لأول
مرة ، وقد تولته الدهشة ، لما كانت تحققت جميع ما في دنيانا الحالية من اختراعات .
كان هذا اليوم يوما مشهودا في تاريخ البشرية ، ولم يصل الانسان إلى اكتشاف
أعظم منه منذ اليوم الذي اكتشف فيه كيف يوقد النار قبل ذلك ببضعة آلاف
من السنين . كان هذا الاكتشاف انتصارا للانسان على مواد الأرض التي يعيش
فيها . وكان ذلك حوالى عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد على أقل تقدير أى منذ ٧٠٠٠ سنة ،
ولكن المصريين لم يعرفوا تماما قيمة هذه المادة الجديدة إلا بعد عدة قرون . واستمروا
يستعملون أدواتهم وأسلحتهم الحجرية ، ولم يستعملوا النحاس فى أغلب الأحيان
إلا فى صنع أدوات الزينة مثل العقود النحاسية التي كان يتحلى بها النساء ، ولم يعم
استعمال الأدوات والأسلحة النحاسية إلا بعد ٢٠٠٠ سنة تقريبا من اكتشاف
النحاس . وفى خلال هذا العصر الطويل - وبعده بمدة من الزمن - استمرت حياة
الانسان فى العصر الحجري الحديث وكأن المعدن لم يكتشف .

العصر النيوليتى فى أوربا

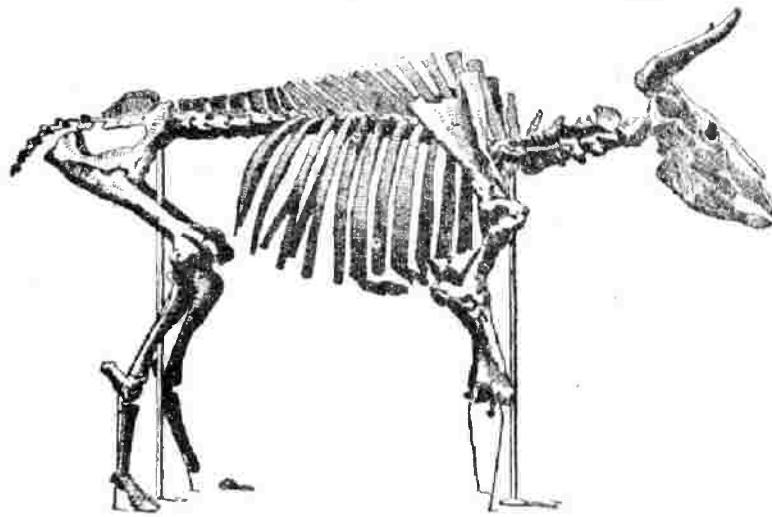
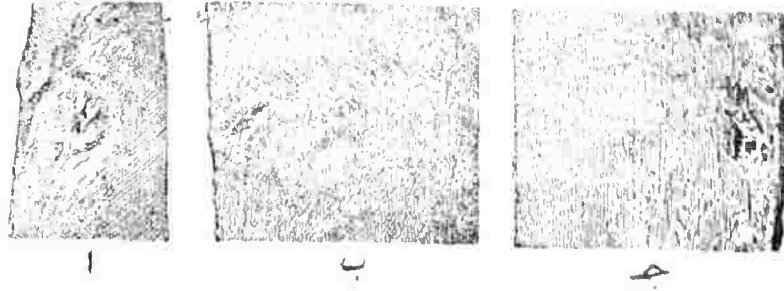
بينما كان سكان جنوبى البحر الأبيض المتوسط فى العصر الحجرى يتقدمون فى أساليب حياتهم كان زملاؤهم على الجانب الشمالى يمرون بتجارب أخرى أقل منها . عاش أوربيو عصر ما بعد الجليد حياة بائسة فى عالم غريب مفزع فترة من الزمن . وكانت البرارى المملوءة بغابات البلوط والحيوانات التى لم يكونوا قد عرفوا بعد كيف يصطادونها تحيط بهم دائما . ولما كان هؤلاء الناس مازالوا يعيشون من جمع غذائهم فمن المحتمل أنهم كانوا فى كثير من الأوقات أقرب إلى الموت جوعا . وكان بعض هؤلاء الناس يعيشون فى كهوف ولكن أكثرهم كان يعيش بالقرب من الأنهار وشاطئ البحر حيث يستطيعون صيد السمك . وكانوا يأكلون الثوت والجوز مع السمك بقصد التنويع فى طعامهم ، وبين حين وآخر كانوا يقتلون حيوانا صغيرا . أما صناعة الطران فكانت فقيرة جدا ولم يكن هناك ذرق فى . ويكاد يكون مؤكدا أن مؤثرات تقدمية غريبة عنهم وصلت إلى أوربا وغيرت طرق المعيشة البدائية لهؤلاء الناس . ولقد جاءت بعض هذه المؤثرات دون شك من شمال إفريقيا ، ومن المحتمل أن جماعات من سكان النيل ، ممن تأصلت فى نفوسهم الرغبة فى التجول أكثر من غيرهم تجولوا عبر شمال إفريقيا ، ثم وصلوا عن طريق جبل طارق إلى أوربا . ولو كان هذا هو ما حدث فعلا فانهم يكونون قد جلبوا بالطبع معهم أفكار و عادات أقوام منتجين للغذاء .

كما أنه من الجائز أيضا أن مؤثرات تقدمية أخرى أتت إلى أوربا من الشرق . فقد كانت جماعات منتجي الغذاء فى العصر النيوليتى تنتخب أما كن إقامتها بجوار الأنهار ومجارى المياه بوجه خاص حيث توجد تربة خصبة ومراع شاسعة . وأهم أودية الأنهار

الأوربية في ذلك العصر هو وادى الدانوب . وفي نهايته يمتد الوادى إلى ما نسميه الآن السهول الخصبة في المجر أو الدانوب الأسفل وهى المنطقة التى تمتد فى اتجاه غرب آسيا الصغرى . وقد انتقلت الحياة النيوليتية فى غرب آسيا عبر هذه السهول إلى شرق أوربا جالبة معها تربية الماشية وزراعة الحبوب . ومن الجائز أن تكون حقول الغلال والمراعى الواسعة فى المجر أقامت أود الجماعات الكبيرة فى أوربا عندما هجر الكثيرون من الناس حياة الصيد واستقروا فى مساكن ثابتة . وكذلك انتقلت حياة المراعى والزراعة من فلاحى الدانوب عبر النهر العظيم إلى قلب أوربا إذ تكشف لنا بقايا المساكن النيوليتية التى انتشرت فى ذلك الوقت من المجر نحو الغرب عن تحسنات كبيرة فى أساليب المعيشة .

ومن المحتمل أن أولى البيوت فى تلك القرى الصغيرة كانت مجرد أكواخ من الأغصان غطيت جدرانها بطبقة من الطين أو ببعض الحشائش المجذولة . وعلى أى حال فقد كانت الأدوات الحجرية ، المسنونة الأطراف من الأسباب التى سهلت بناء البيوت الخشبية لأننا لو فحصنا أدوات الصناعات النيوليتيين لوجدنا أنها تحوى مجموعة من الأدوات تقرب فى كمالها من أدوات النجارة فى عصرنا الحالى . فكان لديهم الفؤوس وكانوا يستعملون أزامل وسكاكين ومثاقب ومناشير ومسنات مصنوعة فى معظم الأحيان من الظران . وفى بعض الأحيان كانت تصنع من أحجار صلبة أخرى . ولقد تعلموا كيف يربطون يدا خشبية حول رأس الفأس أو يشككون رأس الفأس بحيث توضع فى مقبض مصنوع من قرون الغزال أو يشقون ثقباً فى رأس الفأس ويدخلون فيها يدا ، وإذا فحصنا هذه الآلات وجدنا أنها قد صقلت من جراء استعمالها . ومن الخطأ القول بأنه لم يكن فى استطاعة الإنسان أن يعمل أشياء متقنة وبسرعة بمثل هذه الأدوات الحجرية ، فقد أجريت تجربة حديثة فى الدانمرك إذ أعطوا فأساً حجرية لأحد العمال الميكانيكيين ، وبالرغم من أنه لم يكن متعوداً على استعمال هذه الأدوات الحجرية إلا أنه استطاع فى ظرف ١٠ ساعات من العمل أن يقطع ٢٦ شجرة صنوبر يبلغ قطر الواحدة منها ٢٥ سنتيمتراً . وبعد ذلك قطعها إلى

كتل . وفي ظرف ٨١ يوما أتم العامل قطع الألواح والكتل الخشبية وبناء المنزل بأدواته الحجرية . وعلى ضوء هذه التجربة يمكن القول بأنه من المحتمل أن يبنى رجال



شكل ١٣ : هيكل عظمى لشور برى يحمل اثر سهام الصياد الذى قتله فى غابات الدانوب منذ تسعة آلاف سنة تقريبا
لقد أصابه صياد من العصر الحجري المتأخر فى ظهره بالقرب من العامود الفقرى (انظر الحلقة البيضاء فى الجزء العلوى من الهيكل العظمى) والتأم الجرح مخلفا ندبة فى الضلع (ا فوق) . وبعد ذلك أصابه صياد آخر وفى هذه المرة اخترقت أحشاءه عدة سهام واصطدم احدها بضلع (انظر الخاتم الابيض السفلى على الهيكل العظمى) وانكسر فيه . ونرى فى الرسم جانبى هذا الجرح الذى لم يلتئم محشوا برأس السهم الطرائية المنكسرة فيه (فوق فى ب ، ح) ومات هذا الشور المحروح بينما كان يحاول أن يسبح عبر بحيرة مجاورة ، وغرقت جثته الى القاع وعندما وصل الصياد الذى كان يتبعه الى البحيرة لم يجد أى أثر له . وعلى مر آلاف السنين بدأت البحيرة تجف تدريجيا وحلت الاعشاب الجافة محل الماء الذى كان عمقه أكثر من ثلاثة أمتار . وكان لهذه الاعشاب نفس العمق ، وغطت هيكل الشور العظمى . وعثر عليه فى هذا المكان فى سنة ١٩٠٥ ، وعثر معه على رؤوس السهام الطرائية التى قتلته . وقد نقل هيكله العظمى الذى مازال يحمل علامات رؤوس السهام الطرائية ا ، ب ، ح الى متحف كوبنهاجن حيث وضع هناك

العصر الحجري الحديث مساكن مريحة ويعيشوا فيها حياة أرقى بكثير من الهمجيين وتوجد في سويسرا أكثر بقايا المساكن الخشبية الأولى أهمية في أوروبا . فقد بنت هناك جماعات من العائلات في العصر النيوليتي قراهم المكونة من المنازل الخشبية على أماكن مرتفعة ممتدة في صفوف طويلة على طول شواطئ البحيرات السويسرية (١) . وكانت هذه المنازل تقام فوق سطح من الخشب تحملها دعائم خشبية مثبتة في الأرض . وهذه القرى أو مجموعات المساكن المقامة فوق الدعامات تسمى عادة قرى البحيرات . وفي حالات قليلة كانت هذه القرى تنمو وتصبح كبيرة كما في وانجن Wangen حيث عثر على ما لا يقل عن ٥٠ ألف دعامة في الأرض لتثبيت القرية . وعاش سكان قرى البحيرات حياة سلام ورخاء . كانت منازلهم مأوى مريحة . وكانت مجهزة بأثاثات وأدوات خشبية وأباريق وملاعق خشبية ومعها الأطباق والأوعية والأواني الفخارية . وبالرغم من أن أوانيهم الفخارية كانت غير دقيقة الصنع لأنهم لم يعرفوا استعمال عجلة الفخار ولم يحرقوها في أفران إلا أنها كانت سببا في جعل الحياة المنزلية أكثر راحة وسهولة مما كانت عليه من قبل . وبالقرب من المنزل كانت المياه غاصة بالسماك الذي كانوا يصطادونه بخطاطيف من العظم أو شباك من جبال الكتان الذي كان يزرعه سكان قرى البحيرات .

وكانت سفوح التلال التي تطل على قرى البحيرات مخضرة بحقول القمح والشعير والذرة، وكان هذا المصدر الجديد للغذاء كافيا لهم ، ووجد الحفاريون أكثر من ١٠٠ كيلة من الحبوب في قاع البحيرة تحت قرية ونجن Wangen من قرى البحيرات

١ - عثر لأول مرة على بقايا قرى البحيرات السويسرية سنة ١٨٥٤ عندما انخفض مستوى المياه فيها جدا بعد فصل جفاف غير عادي . واتضح الآن أن هذا المستوى المنخفض للمياه كان نفس المستوى الأصلي عندما بنيت هذه القرى . ولهذا أقامها أهلها على الأرض الجافة بجانب البحيرة وليس فوق الماء كما كان يعتقد قبلا . وارتفع مستوى البحيرات السويسرية في خلال آلاف السنين وأعلى الشواطئ القديمة ومعها بقايا القرى القائمة على أعمدة . ومن هنا جاء الرأي الخاطئ . وهو أنها بنيت فوق الماء وثبتت الأعمدة في قاع البحيرة . وبين هذه الأعمدة القائمة وجدت كميات كبيرة من الأدوات وأثاث المنازل والأثاث والزوارق المصنوعة في الشجر وكذلك شباك صيد السمك وبعض القمح والشعير وعظام الحيوانات الأليفة والكتان المنسوج وغيرها



شكل : ١٤ أشياء وجدت في مساكن البحيرات السويسرية

نرى هنا ثلاثة اختراعات هامة تمت خلال العصر النيوليتي

أولا : الاوعية الفخارية مثل ٢ ، ٣ ذات زخارف غير معتنى بها - وهي أقدم طين محروق في أوروبا - وفي ١ وعاء ضخم كان سكان البحيرات يطبخون فيه طعامهم

ثانيا : الادوات ذات الحد المشذب مثل ٤ وهو أزميل حجري مركب في مقبض من قرون الغزال كالمطرقة ، أو مثل ٥ وهي فأس حجرية بها ثقب لتثبت فيه يد الفأس

ثالثا : أما ثالث الاختراعات فهو النسيج كما يرى في ٦ حيث نرى آلة غزل من الطين المحروق وهي أقدم جهاز للغزل ٠ وكانت تعلق في خيط خشن من الكتان طوله من ٤٥ الى ٥٠ سنتيمترا ثم يدفعها فتدور في الهواء ، وهكذا يبرم الخيط الذي تعلق به ٦ وعندما يبرم الخيط الى الحد الكافي كان يلف ويؤخذ خيط بالطول السابق من الكتان غير المنسوج ليبرم بهذه الطريقة

المندثرة . وانتشرت كذلك حقول الدكتان الصغيرة بجانب الجيوب النامية على سفوح التلال ، وكان النساء يجلسن أمام ابواب مساكنهن يغزلن . وقد حلت الملابس الكتانية محل الملابس الخشنة المصنوعة من الجلد التي كان يرتديها أسلافهن . وكانت هذه الحقول من ضمن الاسباب لإقامة مساكن مستقرة في مكان واحد لأنه كان من الضروري للفلاحين أن يبقوا بالقرب من حقولهم الصغيرة تفلح نساؤهم الأرض . وكان القمح يحتاج إلى عناية فاذا ما نضج حصده . ولم تكن تلك الحقول مملوكة لأحد في أول الأمر ولم يكن أحد يعرف شيئاً عن امتلاك الأرض ، ولكن بعد مضي وقت أصبح لكل بيت الحق في زراعة حقل معين . وفي النهاية أصبح لهم حق امتلاكه . وهكذا ظهرت ملكية الأرض التي أصبحت في مستقبل حياة الناس مصدراً دائماً للمضايقات وكانت السبب في الصراع الطويل بين الأغنياء والفقراء — وهو صراع لم يكن معروفاً من قبل عندما كانت الأرض مباحة للجميع . وبدأ عدد كبير من أوربيي العصر الحجري الحديث في هذا الوقت يملكون مساكن مستقرة داخل القرى وحولها

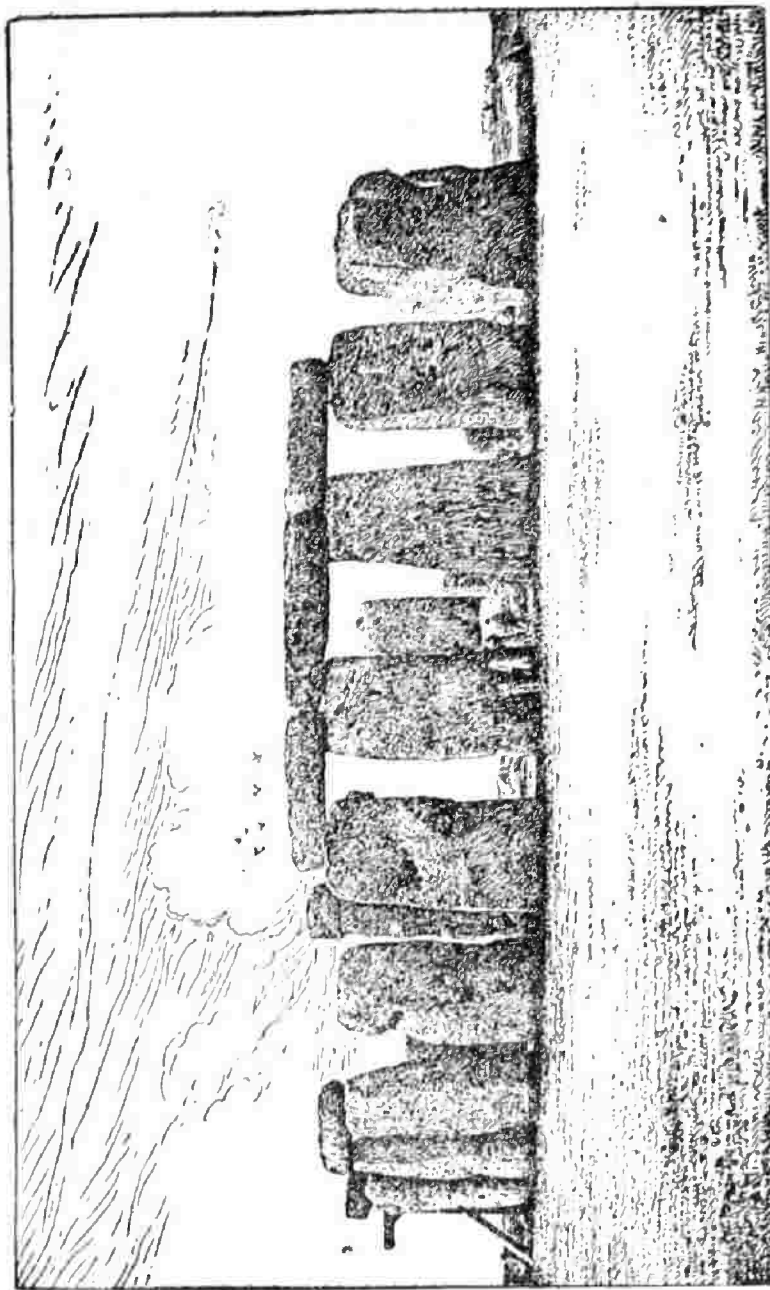
ومن ناحية أخرى نرى أن امتلاك الحيوانات التي تعيش على العشب وتستطيع أن تعيش في المراعى قد خلق طبقة من الناس الذين كانوا مضطرين ليعيشوا حياة غير مستقرة . ولم تكن المراعى خصبة في كل مكان إلى الحد الذي يسمح بإبقاء الماشية دائماً في مكان واحد ، وكان رعايتها يضطرون إلى البحث عن المرعى في أى مكان آخر ، وهكذا أصبحوا يحبون حياة تجوال يقودون قطعانهم ويرعونها في أى مكان به أرض معشبة تدها بالقوت . وبينما مكث الفلاحون مستقرين في أراضيهم الزراعية الغنية ، امتلك البدو الاراضى المعشبة الممتدة من الدانوب شرقاً حتى شمال البحر الاسود ومن ثم بعيداً حتى آسيا . وبقيت حياتهم دائماً أقل تحضراً وأكثر خشونة من الحياة المستقرة في القرى .

وهكذا خلقت الجيوب والماشية طريقتين من طرق المعيشة استمرت كل

منهما بجانب الأخرى . الحياة الزراعيه المستقرة التى تقوم على زراعة الحبوب ، وحياة البدو الجوالين التى تقوم على رعى الماشية . ومن المهم أن نفهم حياة هاتين الطبقتين من الناس ، لأن البدو غير المستقرين يتكاثرون جداً فى وقت من الأوقات فلا تكفيهم المراعى الموجودة فى الأراضى التى تنبت فيها الأعشاب، وكانوا فى مثل هذه الأحيان يفتدون جماعات إلى المدن والأماكن الزراعية فيتغلبون على أهلها . وسرى فيما بعد كيف كانت قبائل البدو الوافدة تأتى من الأراضى المعشبة فى الشرق لتغزو أوروبا مرة بعد مرة .

وأخيراً بدأت الجماعات المستقرة فى العصر النيوليتى تخلف وراءها شيئاً أكثر من المنازل الخشبية الهشة والأكواخ . فى الوقت الذى كاد فيه هذا العصر أن يقترب من نهايته بدأ الزعماء الأقوياء فى القرى الكبيرة يقيمون لأنفسهم مقابر مبنية من كتل هائلة من الحجر ما زالت توجد على حدود ساحل أوروبا الغربى ، من البحر الأبيض المتوسط على امتداد ساحل أسبانيا حتى شواطئ اسكنديناوة الجنوبية ، ويوجد الآن ما لا يقل عن ٣٤٠٠ مقبرة حجرية من ذلك العصر فى جزيرة سيلاند (التابعة للدانيمرك) وكثير منها ذو حجم غير صغير . وتوجد مثل هذه المقابر فى فرنسا وتمتاز بعددها الكبير وأحجامها العظيمة ، وكذلك الأمر فى إنجلترا .

ولقد كانت كتل الحجارة الضخمة تترك بدون تهذيب كما هى ، وعند قطعها كانوا يستعملون أزامل حجرية . ولا يمكننا أن نعتبر هذه الأحجار بمثابة مباني لأنها تبنى بقطع مهذبة من الحجر أو تستعمل فيها الملاط ولا نستطيع كذلك أن نعتبرها من أعمال العمارة فذلك شيء لم يكن قد حدث فى أوروبا . وتدلنا تلك الآثار التى أقيمت فى العصر النيوليتى على وجود أقدم المدن فى أوروبا ، فبالقرب من كل مجموعة كبيرة من المقابر الحجرية كانت توجد مدينة يقيم فيها السكان الذين بنوا تلك المقابر . وقد



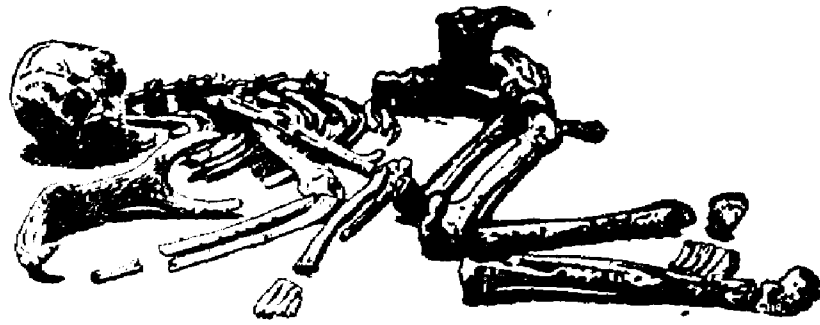
شكل : ١٥ دوران كبير من الحجر في ستونهنج Stone henge بإنجلترا
 يبلغ قطر الدوران حوالي ١٠٠ قدم ، ويصله بالمدينة المجاورة التي يرجع
 تاريخها الى العصر الحجري طريق طويل لا يزال أثره باقيا . ويعتقد البعض أن
 ستونهنج Stone henge كانت مكانا لدفن بعض الزعماء في العصر الحجري

اكتشفت بقايا بعض هذه المدن وأزيل عنها الركام الذى كان يغطيها وهى ترينا أن الناس تعلموا كيف يعيشون معا وأن عددهم كان كثيرا . وكانوا يعملون متعاونين على نطاق واسع .

وكان لابد من وجود سيطرة تامة على الرجال وإدارتهم بحزم حتى يستطيعوا أن يقيموا جدراناً مثل هذه المدينة ، أو ليصنعوا ٥٠ ألفاً من الدعائم لتقام عليها قرية الحجرية فى وانجن Wangen فى سويسرا ، أو لينقلوا كتلا ضخمة من الحجارة لبناء مقابر الزعماء ، وكانت هذه الأعمال بشائر إنشاء حكومة منظمة لها زعيم . ونستطيع أن نطلق على مثل هذه الحكومة اسم ولاية . وقد نمت عدة ولايات صغيرة فى أوربا فى العصر النيوليتى تتكون كل واحدة منها من مدينة مسورة بجدران وتحيطها الحقول ويحكمها زعيم . ومن أمثال هذه البدايات تسير الأمم فى طريق التكوين . تلك المنشآت الحجرية تعطينا لمحات جميلة عن الحياة فى المدن النيوليتية . وشكل بعض هذه الآثار يجعلنا نفترض أن جماعات كاملة كانت تأتى من المدن فى أيام الأعياد وتسير إلى أما كن مثل الدوران الحجرى العظيم فى أستونهنج Stonehenge . وهناك رأى آخر وهو أنهم كانوا يتبارون فى هذه الأماكن فى مسابقات وألعاب رياضية داخل هذه الدورانات الحجرية تكريماً لذكرى الزعيم المدفون تحتها . ومن المحتمل أن مواكب هذه الاحتفالات سارت فى الطرقات الطويلة التى تحدوها الأحجار الضخمة . أما اليوم فإن هذه الطرقات ساكنة مهجورة ، وتمتد عدة كيلو مترات عبر حقول الفلاحين لتذكرنا بأفراح الانسانية التى نسيت ، وبعبادات قديمة وعقائد طالما احترمها القوم الذين عاشوا يوماً ما فى أوربا فى العصر الحجري .

وإذا كانت هذه المدافن آثاراً باقية لعقائد دينية حسب رأى البعض أول نشاط اجتماعي كما يرى البعض الآخر ، فإن هناك آثاراً أخرى تكشف لنا عن حياة الناس

اثناء عملهم . بدأ الناس في ذلك العهد في اتخاذ حرف فكان بعضهم يعمل في صناعات الخشب ، وكان آخرون يصنعون الفخار ، وبقى البعض الآخر في أعمال المناجم . وقد حفر هؤلاء العمال القدماء في أعماق الأرض كي يصلوا إلى أجود طبقات الطران



شكل : ١٦ هيكل عظمى لاجد عمال المناجم في العصر الحجري المتأخر

وجد هذا الهيكل العظمى ملقى على أرضية منجم طران في بلجيكا ، تحت الصخور التي انهارت وسحقته . ونرى أمامه المعول ذا الطرفين المصنوع من قرن الغزال والذي كان يستخرج به قطع الطران من مهدما الطباشيري . والمعول لا يزال في موضعه عندما سقط من يده في اللحظة التي انهار فيها الكهف

ليصنعوا منها أدواتهم الحجرية . وفي السرايب القديمة التي حفرها عمال مناجم الطران القدماء في براندون Brandon بإنجلترا عشر منذ وقت غير بعيد على ثمانين معولا باليا مصنوعة من قرون الغزلان . وفي أحد الأماكن تقوض السقف وسد ممرا في المنجم . وهناك عشر الاثريون وراء الصخور المتساقطة على معولين من قرون الغزال وكان على هذين المعولين طبقة من غبار الطباشير مازال ظاهرا به بصمات أصابع العامل الذي تركها هناك لآخر مرة منذ آلاف السنين

وكان هناك تعامل واتصال بين القرى ، بل أن الحقيقة أن التجار الاوائل كانوا

يحملون البضائع مسافات بعيدة وإلى أماكن كثيرة . ومن الأمثلة الظاهرة التي تدل على ذلك عثور الباحثين على أنواع من الطران الفرنسي الجيد مبعثرة في أجزاء عديدة في أوربا حيث دل عليها لونها . كما انتقل الكهرمان الذي كان يجمع على شواطئ البلطيق من يد إلى يد حتى وصل جنوبا إلى البحر الأبيض المتوسط . وعثر في الجزائر التي حول أوربا على أدوات حجرية تثبت لنا أن بعض الناس في ذلك العصر كانوا يملكون قوارب قوية إلى الحد الذي يكفي لحملهم إلى تلك الجزر . ووجدت عدة زوارق منحوتة في الأشجار استعملها سكان البحيرات . وجدت هذه الزوارق في قاع البحيرة وسط القوائم الخشبية ، إذ لم تكن السفن ذات الشراع قد عرفت بعد في أوربا . أما الأعمال التجارية في مثل هذا العصر فقد كانت بالطبع بسيطة جدا .

لم تكن هناك معادن أو نقود . كان البيع والشراء يتم بمقايضة نوع من البضائع بنوع آخر . ولم يكن للكتابة وجود في كل أوربا ، بل لم تبتدع أية طريقة للكتابة في أي مكان في القارة الأوروبية . ولكن الاتصال بين هذه القرى القديمة في أوربا لم يكن دائما سليما . فإن الأسوار الترابية والسيارات الخشبية التي أقاموها حول المدن لحمايتها تثبت لنا أنه كثيرا ما دوى صوت نفير الحرب الخاص بالزعيم ليدعو القوم لصد الأعداء . وما زالت هناك آثار محزنة لبعض هذه الحروب القديمة في أوربا . ففي مقبرة من ذلك العصر في السويد عثر على جمجمة وفيها رأس سهم من الطران مازال مغروزا في إحدى حفرتي العين ، بينما عثر في فرنسا على أكثر من عظمة آدمية مغروز فيها رأس سهم من الطران . وفي مدفن اسكتلندي عثر على تابوت بداخله جثة رجل ضخيم الحجم وإحدى ذراعيها تكاد تنفصل عن الكتف نتيجة ضربة فأس حجرية ، وفي عظام الذراع المصاب علق قطع من الحجر كسرت من حد الفأس .

هكذا كانت حياة النيوليتيين على الجانب الشمالى للبحر الأبيض المتوسط عندما اقترب هذا العصر من نهايته حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد . لم يتقدموا تقدما كبيرا بعد تحولهم من حياة الصيد إلى الحياة المستقرة على مقربة من حقول حبوبهم ومراعيتهم ، لم يعرفوا الكتابة حتى يستعملوها فى تدوين أمور تجارتهم وحكومتهم ، واستمروا بدون معادن^(١) فلم يصنعوا منها الأدوات التى عساها تمكنهم من التقدم فى صناعاتهم ، ولم يكن لديهم سفن شراعية تحمل تجارتهم ، وبدون هذه الأشياء لا يستطيع الانسان أن يتقدم كثيرا .

١ - أدخلت المعادن فى الجنوب الشرقى لأوربا حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد وانتشرت كموجة بطيئة متحركة تدريجيا غربا وشمالا عبر أوربا . ومن الجائز أنها لم تصل بريطانيا حتى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد تقريبا . ومن هنا وضعنا النصب الحجرية الضخمة الخاصة بغرب أوربا ضمن دراساتنا للعصر الحجري فى أوربا . وقد أقيمت تلك النصب بعد أن عرف جنوب شرقى أوربا المعادن بوقت طويل . ولكن قبل أن ينتشر استعمال المعادن فى غرب أوربا

ربع الكرة الأرضية

الذى نمت فيه الحضارة وتطورت

رأينا فيما سبق كيف تطورت حياة القدماء في حوض البحر الأبيض المتوسط ، واهتممنا اهتماماً خاصاً بالمناطق التي في شماله وفي جنوبه حيث عثر رجال الآثار على أدوات كثيرة درسوها دراسة وافية . وتشهد مجموعات آثار عصر ما قبل التاريخ على أن القدماء عاشوا في جميع الأراضي المحيطة بالبحر العظيم وفي الأراضي التي تحيط به . وهكذا كان البحر الأبيض المتوسط مركز التقدم في الحياة وهو الأمر الذى بدأ منذ أول ظهور الإنسان . ولندرس الآن ربع الكرة الأرضية الذى يشغل فيه هذا البحر الأبيض المتوسط جزءاً هاماً . كانت الحياة الحضارية المبكرة في الجانب الأفريقى من البحر الأبيض المتوسط على هيئة شريط ضيق يمتد بامتداد الشاطئ ، (لأن الصحراء الكبرى كانت تقع خلفه) وتمتد جنوباً في خط ضيق بامتداد نهر النيل . وأما في الجانب الأوروبى من البحر الأبيض المتوسط فإن القوم المتحضرين اتجهوا تدريجياً نحو الشمال ، وفي وقت ما وصلوا إلى البaltيق والبحر الشمالى والجزر البريطانية ، وفي الطرف الآسيوى من البحر العظيم توغلت الحياة المتحضرة كثيراً في الداخل ، وفي النهاية وصلت شرقاً حتى الهند والصين .

فإذا بدأنا بالبحر الأبيض المتوسط نجد أن حدود شواطئه الثلاثة ، الجنوبي الشمالى والشرقى والأراضي الواقعة خلفها ، كونت العالم الذى تطورت فيه حياة الإنسان في ثلاث قارات . وإذا أخذنا هذه المناطق كوحدة ، فإنها تكون مثلثاً يدخل فيه جزء كبير من الربع الشمالى الغربى لنصف الكرة الشرقى . هذا المثلث الذى سماه البعض الربع الشمالى الغربى العظيم قاعدته هي الحدود الجنوبية للصحراء في إفريقيا

وآسيا ، أو على وجه التقريب خط عرض ٢٠ شمالاً . وضلعه الشرقى عبارة عن خط يتجه من الشمال إلى الجنوب محاذياً جبال الأورال تقريباً وينطبق على خط الطول ٦٠ شرقاً . وإلى الغرب من هذا الخط وشمال خط العرض ٢٠ يمتد الربع الشمالى الغربى العظيم حتى يصل إلى المحيط الاطلنطى والمتجمد الشمالى وهما يكونان حدوده فى الشمال والغرب .

وفى هذا المثلث العظيم تطورت الحضارة التى ورثتها الآن كل من أوروبا وأمريكا . ومن الناحية الجغرافية يتكون هذا الربع المتسع من ثلاث مناطق من الشرق إلى الغرب . فهناك أولاً منطقة المرتفعات التى تتضمن الجبال ، وتمتد على طول الجانب الشمالى من البحر الابيض المتوسط ثم تتجه شرقاً إلى قلب آسيا وراء الضلع الشرقى للمثلث السابق ذكره . وإلى شمال منطقة المرتفعات توجد الاراضى المستوية الشمالية التى تمتد كذلك شرقاً حتى قاب آسيا . وإلى الجنوب من منطقة المرتفعات توجد أراضى السهول الجنوبية التى يشغلها من الغرب حوض البحر الابيض المتوسط . ومن المهم أن نلاحظ أن أكثر الاراضى المستوية الجنوبية ليست إلا صحراء تمتد من شمال أفريقيا شرقاً عبر البحر الأحمر ثم تتوغل فى آسيا .

أما سكان الربع الشمالى الغربى العظيم فأنهم كانوا جميعاً من الجنس الابيض منذ أن ظهر الإنسان فى عصر ما قبل التاريخ . ولكنهم يختلفون اختلافاً بيناً فى بعض الخصائص الجسدية . ففى أراضى السهول الشمالية نجد قوماً ذوى شعر أشقر ورؤوسهم مستطيلة مثل الاسكنديناويين الذين يسمون أحياناً الجنس الشمالى (Nordie) . أما جيرانهم فى الجنوب فكانوا ذوى رؤوس مستديرة ويسكنون فى منطقة المرتفعات ومن هنا يسمون غالباً الجنس الالى (Alpine) أو الارمنى (Armenoid) . وفى الاراضى المستوية الجنوبية كان يسكن أناس شعرهم أسود رؤوسهم مستطيلة يعرفون الآن باسم جنس البحر الابيض المتوسط . وهذه

الانواع الثلاثة تكوّن جميع سكان الربع الشمالى الغربى ، وكان أسلاف الذين يسكنون الآن فى تلك المناطق هم الذين خلقوا الحضارة التى ورثناها . وإذا دققنا النظر خارج ذلك الربع الشمالى الغربى العظيم نجد فى الاقاليم المجاورة جنسين مختلفين فقط — المنغوليون فى الشرق والزنوج فى الجنوب ويشغل هؤلاء الناس مكاناً هاماً فى عالمنا الحديث ، ولكن يظهر أنه لم يكن لهم أثر مباشر على الحضارة المبكرة فى الربع الشمالى الغربى .

وقد سكن المنغوليون ، وهم جنس ذو شعر أسود مستقيم كالسلك ورؤوس مستديرة لالحية لهم وجلدهم أصفر . سكن هؤلاء المغول الهضاب المنفردة فى داخل آسيا والتى نسميها بآسيا المرتفعة High Asia . ومن بين أقوام هذا الجنس استطاع الصينيون أن يكوّنوا لهم حضارة ذات طابع ممتاز^(١) وخرجت أقوام من الصفر مهاجرة من موطنها فى مرتفعات آسيا فى جميع الاتجاهات ولكنهم لم يصلوا إلى الربع الشمالى الغربى إلا بعد أن تطورت فيه الحضارة لدرجة كبيرة . وقد هاجرت جماعات من الرحل الآسيويين — من الجائز أنهم كانوا من المنغوليين — إلى أقصى شمال شرقى آسيا، وهناك رأى يقول أنهم ظلوا فى اتجاههم حتى عبروا ألاسكا ، وربما تجولوا أبعد من ذلك ووصلوا إلى أمريكا وهكذا أصبحوا أسلاف الهنود الأمريكيين الشماليين .

وفى جنوب الربع الشمالى الغربى تقع أفريقيا التى تعج بسكانها السود كما هى الآن ، والتى فصلتها الصحراء الكبرى عن الجنس الأبيض . وكان وادى النيل هو الطريق الوحيد الذى يقطع الصحراء الكبرى من الجنوب إلى الشمال ، وكثيراً ما تجول السود

١ أظهرت نتائج الحفائر فى الصين أن ماوصل إلى أيدينا من أدوات يرجع تاريخها إلى العصر الباليوليتى أو النيوليتى تثبت أن بعض الأشياء الأساسية فى الثقافة الصينية يرجع أصلها إلى عصر ما قبل التاريخ . أما عن العصر التاريخى فإن الدكتور H.B. Creel يقول فى كتابه The Birth of China ص ٥٣ «من الناحيتين الأثرية والعلمية يرتفع الستار عن تاريخ الصين عندما كانت أسرة سانج تعيش فى Anyang فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

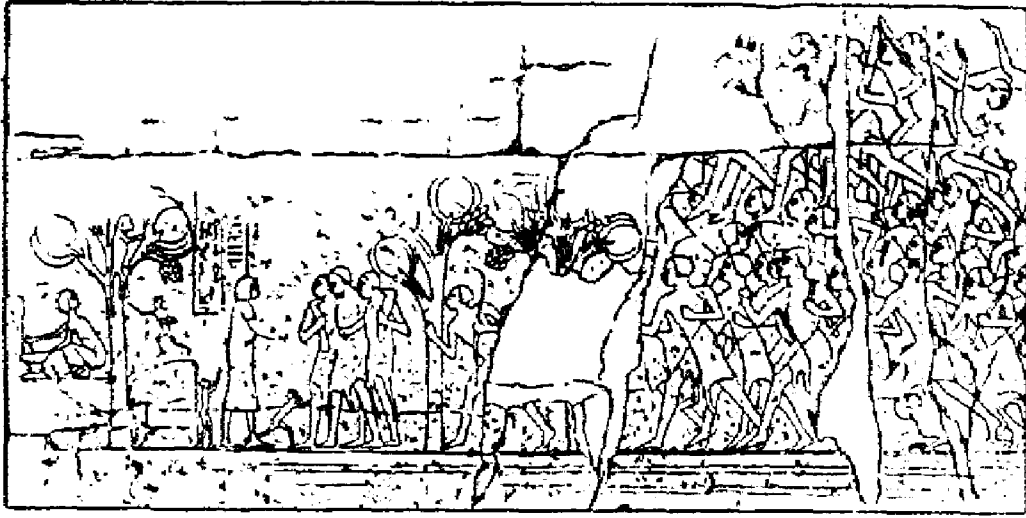
في قلب أفريقيا واتجهوا شمالا في هذا الطريق حتى وصلوا مصر ولكنهم كانوا يأتون في جماعات صغيرة فقط . وهكذا قدر لهم أن يظلوا وحدهم بسبب الحاجز الصحراوي ، وبقي هؤلاء السود غير متأثرين بالحضارة التي في شمالهم ولم يضيفوا إليها شيئا ذا نفع . ولذلك سنقتصر فقط على ظهور الحضارة في الربع الشمالي الغربي .

لقد رأينا كيف عاش رجال العصر النيوليتي وكان ينقصهم الكتابة والمعادن والسفن الشراعية كما كانت تنقصهم أشياء أخرى ضرورية لكي يعيش الانسان حياة أفضل من حياة البدائيين . ولم تكتشف أو تخترع هذه الاشياء في أوربا وإنما على الجانب الآخر من البحر الابيض المتوسط في مصر وآسيا الغربية أى في البلاد التي يطلق عليها الآن اسم « الشرق الأدنى »^(١) . وتشبه هذه البلاد حدود حصان كبيرة ، غير منتظمة ، فتحتها نحو الغرب وسميكة جدا في الوسط ، وهكذا تجمعت بلاد الشرق الأدنى حول الطرف الشرقي للبحر الابيض المتوسط وإلى شمالها آسيا الصغرى وإلى الجنوب منها شمال شرق أفريقيا^(٢)

بدأ سكان الشرق الأدنى يبنون حضارتهم قبل ٤٠٠٠ سنة ق.م. وخلال الالف سنة التالية من ٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق . م ، تقدموا في بناء تلك الحضارة العظيمة وبدأوا العصر التاريخي أو العصر الذي ابتداء عندما كتب الانسان لأول مرة مستنداته ، تلك المستندات التي تقص علينا في كتابات مكتوبة شيئا عن حياة الانسان وما مر عليه من أحداث .

١ - يستعمل اصطلاح « الشرق الاقصى » ايضاً على الصين والهند والجزر الاسيافكية وخاصة اليابان . واصطلاح « الشرق الأدنى » هو الآن أصح اسم للأراضي المتجمعة حول الطرف الشرقي للبحر الابيض المتوسط .

٢ - ظهر منذ الحرب العالمية الثانية اصطلاح « الشرق الاوسط » وهو يضم جميع البلاد التي نسميها الشرق الأدنى ويضمون إليها مناطق أخرى مثل تركيا والسودان وشمال أفريقيا وغيرها . ولكنها تسمية سياسية وضعت في ظرف خاص لغرض معين ولا يمكن أن تحل محل اصطلاح الشرق الأدنى عند حديثنا عن التاريخ (المغرب)



شكل : ١٧ أقدم رسم معروف للحياة الزوجية (القرن الثالث عشر ق م)

فى الناحية اليسرى ترى امرأة زوجية تجلس تحت نخلة (من شجر الدوم)
تقلب الطعام فى اناء من الفخار موضوع فوق النار • وفى هذه الاثناء حدثت ضجة
عظيمة • وجاء فريق كبير من الجنود المنهزمين (الى اليمين) يفرون أمام هجوم
الملك المصرى الذى اقتحم عليهم المعسكر • ونرى فى اليسار جنديا جريحا يستند
على رفيقين له يحملانه الى زوجته وطفله اللذين يتقدمان من اليسار • وعلى النخلة
التي بجانبهم يقفز قرد وينقنق بجنون عندما شاهد ذلك الاضطراب • ويندفع
طفل مضطرب من الخلف ليخبر الطاهية بالكارثة التى حلت بهم • وهذا الرسم
على أحد جدران معبد للملك رمسيس الثانى ، أى أنه من القرن الثالث عشر قبل
الميلاد • والفجوات التى فى هذه الصورة هى الاجزاء المهشمة فى الرسم الاصلى •